آفاق الأدب العالمي

قصص عن أوهام المنفى

كتبت نيكول زاند في جريدة « لوموند » الفرنسية (١٥ شباط ١٩٨٥) مقالاً عن كتاب دمتري سافتسكي الذي صدر حديثاً بعنوان «قصص قصيرة عن اوهام المنفى » نورد ترجمتها في ما يلي :

القصة القصيرة فن راقٍ يخلق نكهات أكثر ندرة وقوة ودقة من الاستغراق في كتب غليظة ومغذية . هي خطة كبيرة مبروزة بدقة تنبش حتى اقصى العمق . وقد تكون بالنسبة للكاتب تمريناً في الطهارة .

ذاك هو الشعور الذي يُستخرج من قراءة هذه القصص القصيرة الست للكاتب « دمتري سافتسكي » الصادرة حالياً عن مؤسسة «لاتس» هي ملذّة حقيقية للحواس والذكاء، واقتناع ملكة تتوكد فيها وراء الحكاية وخط السير الشخصي .

لقد سبق ان تعرفنا على « سافتسكي » تحت اسمه المستعار « الكساندر ديموف »، عندما أصر ان يفهمنا ، بطريقة افضل وبنظرة كانت لم تزل سوفياتية اللون ، حقائق الاتحاد السوفياتي والعالم الصغير للمثقفين واصحاب الامتيازات والمتمحلين. كما أفهمنا الأسلوب المتبع هناك لاكتشاف التراث الثقافي الروسي او موسيقى «الجاز» الأميركية ، اذا بذل المرء بعض الجهد ، وكذلك طبيعة الانسان السوفيتي المزدوجة التي ترغمه ، منذ دخوله دار الحضانة ، على ان يكون « انساناً مزدوجاً » يمارس اللعبة المزدوجة لكي يستمر في النظام. وقد ارسل لنا سافتسكي ، غير المتأقلم لا للحياة السوفيتية ولا للحياة الغربية بدُ قبلاتٍ في روايته الأولى «قبلات طيبة من لا مكان » هي نوع من الوداع لروسيا ، مطبعة بالوطان واليأس . . . وسيلة جذرية (أو على الأقل هذا ما يتمناه) لإستئصال الأرض، مسقط رأسه ، دونما امل في العودة .

هذا الرجل البالغ من العمر الأربعين ، مهاجر روسي (طلب حق الإلتجاء السياسي سنة ١٩٧٨) وشاعر وصحافي وروائي لا يدخل ضمن صنف معتاد : فهو ليس منشقاً ولا غير منشق . فهم باكراً جداً انه سينتهي بمأزق إن بقي في روسيا ، ولكنه ادرك ايضاً أنه يستطيع ان يبقى كاتباً روسياً في أي مكان آخر في العالم. وستكون باريس بالنسبة له ، في نهاية المطاف ، مكاناً حيادياً يمكنه العيش فيها وممارسة هوايتيْه : الكتابة ولعب التنيس.

إن مجموعة القصص القصيرة هذه تكشف جيداً وضع الكاتب كلاجيء محصور بين عالمين ، أي في لا مكان . . . قصة « رقصة فالس لكاف »، وهي عنوان الكتاب ، تجري في موسكو وتجرفنا دفعة واحدة الى عالم نصف واقعي ونصف خيالي .

يتمتع صاحب الراوي المفضل ، الذي يسكن غرفة مليئة بالكتب في منزل مشترك ، بموهبة السرقة . وسيتعلم منه بطلنا كيف ينام في الهواء الطلق ، كأنه احدى شخصيات «شاكال » ، وكيف يحلق فوق موسكو ، كما حلق « المعلم وماركاريت »، بحثاً عن التأثر بكل شارع صغير ، وكيف يجامع في السماء الصافية ، بل كيف يرحل ويطير الى الأبد . باستطاعة السلطات ان تعاقب بشدة انتشار هذا الشذوذ الخطير ، هذا العطش الغريب لمكان آخر «يبعدكم عن الطبقات الشعبية » . . . لكن المنفى هو ، بالنسبة للجميع ، عودة قاسية الى الحقيقة (لقد حذر « مهندس سابق سوفيتي الأصل أصبح ، بملء ارادته متشرداً في باريس ، من أنه يقال إن الرجال الطائرين يفقدون الى الأبد طاقتهم على الطيران عندما يصلون الى الغرب »).

كيف يمكن العيش والاستمرار خارج شرنقة الوطن الواقية ؟ تروي قصة «شاطيء الستيكس الغربي » حكاية احتيال مضحكة قامح بها ، بواسطة بطاقة اعتماد ، صديق طفولة في جادة « روديستفينسكي» . وقد اصبح هذا الصديق مستخنثاً . «عرفت « ناثان اندرو » عندما كان لا يزال امرأة ، قال الراوي . كان ذلك في روسيا في الدتشاكنا نصنع بعض المربى ». كان « ناثان اندرو » يسمى حينئذٍ « ناتاشا اندريفانا ».

كانت شبيهة بأوزة بيضاء في الثامنة عشرة من العمر . أما الآن ، « ومع احتمال التغير ، فقد اختارت ان تتغير حتى النهاية » لم يتوصل الجميع الى هذا الحل الجذري وأكمل البعض تجارات صغيرة غير مشروعة مثل تحويل طوابع تمثل «لينين» أو أوراق نقد في العهد القيصري الى عملة حقيقية او قطعاً من كوبكس الى «فيش» للهاتف النيويوركي . «كيف لأشخاص ألاّ يتوقفوا عن التفكير في المجيء الى هنا!»، يقول الراوي بضحكة هازئة وهو يتخبط في هذا « العالم الآخر » الذي هو العالم الغربي وينظر اليه دون حقد ولا

حسد . مستعداً لأن يسد أذنيه بواسطة «أقراص لوديوك فان» المتناغمة. هو مسكون ابداً بالموت الذي يأخذ النساء اللواتي يقترب الراوي منهن واحدة تلو الأخرى. انه مأخوذ برؤية جثة فظيعة ، جيفة كلب لمحه على شاطيء افريقي .

يملك دمتري سافتسكي شراسة طريفة وشهية في وصف عالمه : نيويورك وافريقيا وموسكو ومالطا وباريس. ليس عالمه بجنة ولا جحيم ، بل هو مزيج معقد لا يدري سافتسكي كيف يحفر لنفسه حفرة فيه . يقول : « كان من الواضح اننا ارخينا القلوس واننا تركنا الشاطيء الآخر . لكني رفضت ان اصدق اننا لم نرسُ في اي مكان ». تابعوا دمتري سافتسكي. لن تندموا .

بنات الدكتور زن الخمس

كتب غابرييل رولن في جريدة «لوموند» (١٥ شباط ١٩٨٥) مقالاً عن كتاب «اسطورة بلود سمور» للكاتبة الأميركية جويس كارول اوتس نورد ترجمته هنا .

لم تكن نساء العصور الماضية تتنفس البتة . كانت « تجسد الشخصية التي نسبها الله لها »، اذا صح التكلم عن شخصية ، والأصح التكلم عن دمية تُحَرِّكُ بالخيطان، أو عن امعة . هل لهنَّ جسدٌ فحسبُ تحت طبقات تنانيرهنَّ وتنانيرهن الداخلية او تحت مخصرهنَّ المشدود؟ الويل للواتي يطرحن على انفسهن هذا السؤال الذي يتسبب في ايقاظ «الحيوان» ونسيان فرضهنَّ ومهمتهنَّ الوحيدة المقتصرة على بقاء الجنس البشري . بالرغم من هذا ، كانت الصبيات الخمس يتساءلن . فقران الأخت الكبرى جعلهن كئيبات . شعرن بلغز لم تكن كتب التربية ـ « مرشد السلوك للشبان المسيحيين » أو«رزنامة الزوجة الصبية ص« ـ لتبوح بجواب له. « آه! كم اريد أن . . . كم أريد أن . . . لا ادري ماذا . . » ويتنهَّدن !

سوف تأخذ الحياة على عاتقها ان تعلمهن . كلٌّ منهن ، امام عين الراوية الناقمة اوالمذهولة، ستنجز قدرها ، ستهرب الكبرى من السرير الزوجي قبل «الكشف»، وستشنقُ الوسطى ، التي لا عيب فيها، زوجها الداعر ، مصادفةً. اما الثالثة فستعرض نفسها لنيران المذلة وتغرق في الفسق وستتجنب الرابعة ، المثقفة ، العزوبية وتعقد زواجاً لا يلائم ظرفها الاجتماعي . وأما خامستهنَّ ، التي تقع فريسة الأرواح التي تستدعيها ، فتكاد أن تلامس الجنون.

وهل الرجال أكثر اتزاناً ؟ بالطبع لا. فانظروا الى أحسنهم ، «جون كونسي زن »، والد اولئك النسوة . فهو ، كجميع الأميركيين ، «المؤتمنين على التقدم »، واعٍ لمهمته في احياء العالم . قد كرس نفسه للاختراعات الانسانية . ينجرف احياناً بعواطفه فيعيده «الكونجرس» الى النظام : انه من غير المستحب ان يخفف حكم الأعدام . وقد شرح له أحد أعضاء مجلس الشيوخ قائلاً : « يجب ان يكون الموت لامعاً وظاهراً وحاذقاً . . . ان يكون مؤلماً ». . وهكذا خلق الدكتور زن الكرسي الكهربائي . ولكن المؤسف أن اختراعه الأخير والأعظم، أي صيغة «الآلة ذات الحركة الدائمة المخصصة لإحداث انفجار لا يمكن لشيءٍ ان يوقفه »، تلاشى في احدى الحرائق.

ان سخرية جويس كارول اوتس الكونية تطلق لنفسها العنان . تأتينا حشمة تلك السخرية المتصنعة بتفاصيل مشاهد فجة (آه ، الملذات الزوجية الشنيعة) . وتطلعنا الراوية على ما لانستطيع تسميته ، « بواسطة تلك الكلمات البدائية التي تشير الى بعض اجزاء الجسد ، كلمات غريبة الى حد انني لا استطيع ان احزر كيف كُتبت ». تصف لنا الراوية ، الأكثر سادية من بطلات باتريسيا ونتورث واغاتا كريستي ،جرائم وتعذيبات لكنها تنحني امام الخالق المذنب لتكشف لنا جحيم البراءة الأميريكية.

الرواية في اميركا اللاتينية

كتب «اغناسيو رامونيه » في جريدة «لوموند ديبلوماتيك»(١ شباط ١٩٨٥) مقالة عن الرواية في اميركا اللاتينية بمناسبة صدور رواية » ذاكرة النار ، للكاتب ادورد جاليانو . وهذه ترجمة المقالة :

هناك طريقتان او مدرستان في التحدث عن « العالم الجديد المولود من اغتصاب » حسب رأي الكاتب الأوراجويي ادوردو جاليانو . الأولى تمحص، نوعاً ما ، استغلال هذا العالم وتشرح لنا كيف استنزفت هذه الأرض من ثرواتها عبر الأجيال ، وهذا ما سبق ان ذكر به الكاتب في دراسة قوية ووجدانية وانفعالية بعنوان : « شرايين اميركا اللاتينية المفتوحة » (باريس ١٩٨١).

لكن باستطاعتنا ايضاً ان نطير من ذكرى الى اخرى في ذاكرة بناةِ العالم الجديد المضطربة . هذا ما اقترحه الكاتب في كتاب «ذاكرة النار» الذي يكون الجزء الأول من ثلاثية عن تاريخ الرجل الأميركي .

هل كتاب ادوردو جاليانو رواية ام دراسة تاريخية ام شعر منثور ؟ الواقع أن كتابه لا يندرج تحت أي من هذه التصنيفات بالرغم من اشتراكه في ثلاثتها . هو نوع من الزجاجية المتعددة الأصوات والفسيفسائية . بالاختصار انه تتابع مقاطع يستدعي فيه الكاتب ، بواسطة لغة جد خيالية ، الأحداث والأفكار والرجال الذين اختلقوا اميركا .

ان اسلوب هذه الرواية الغريبة مرتبط بالطبع ، بالتقليد الملحمي والملحمة . غير ان ادوردو جاليانو يلجأ ، أيضاً ، الى مدرسة اميركية لاتينية صحيحة، الى الأدب « الواقعي ـ الخارق » الذي نظر له الكاتب الكوبي الأصل «آليهو كاربنتيه». هذا النسب

شرعي ، ذلك لأن الأدب الأميركي اللاتيني ولد ، بالتحديد ، أثناء « الاكتشاف » عندما حصلت معادلة شاذة بين « الخارق » الذي توقعه الاسبانيون و« الواقع » الذي اكتشفوه . ان عالم « الأنتبي » مثلاً ـ هذه الكلمة التي تم استعارتها من الروايات الفروسية التي قرأها الغزاة ، شأنها شأن كلمتي «كاليفورنيا » و« الدورادو » ـ يظهر لهم وكأنه يطابق وصف جنة عدن مطابقة تامة . وماذا يقال عن هؤلاء الرجال الصغار الذين ولدوا في هضبات «الكاستيل » أو «الاسترامادورا » القاحلة عندما اجتازوا المناظر الأكثر جسامة في العالم : الآند والأمازون والباسيفيك ؟ . . .

« كطيران سنقر »، انهاروا على هذه الأراضي الأسطورية وغالباً ما سحقوا الرجال والحضارات « في سبيل مجد الله الأكبر ». ان ادوردو چاليانو يجد سحر اللغة لكي يصف الكونيات المتناغمة للعالم ما قبل الكولومبي وطعم العنف الذي تذوقه المحتلون والباحثون عن المجد والطامعون في الذهب ، وهؤلاء يأتون من كل مكان ، ومن اسبانيا والبرتغال بالطبع . لكن الكاتب يذكرنا بان «تهديم الهند» سببه القراصنة الانكليز ومستوطنو اميركا الشمالية وجزاروها وتجار العبيد الهولنديون او الفرنسيون . . . لقد غرست اوروبا بأكملها السيف في جسد أميركا الهادىء لإفراغها من ثرواتها وروحها .

يحول ادوردو چاليانو الشخصيات التاريخية الى شخصيات روائية . ويفهمنا بطريقة افضل، بواسطة الانفعالات والأحاسيس، مولد عالم متميز . ما يقوله الكاتب عن الغازي الثائر ـ هذا الشخص الأصيل والمذهل « لوب دي آجير » الأعور الأعرج ، يكاد ان يكون قزماً ذا جلد حرقته الشمس، هذا الشخص الذي ألهم المخرج السينمائي الألماني ورنر هيركوز (آجير، غضب الله ١٩٧٤) والروائي الڤنزويلي هيجال اوتيرو سيلفا (لوب دي آجير ، امير الحرية . باريس ١٩٨٠) ـ يلخص بذاته عقدة المشاعر المتناقضة . ففي هذه العقدة تختلط الاثارة والغزو والندم على التهديمات بالثورة ضد التاج والطموح الاستعماري . ويعلن الكاتب ولادة انسان جديد سيحمل ، في بداية القرن العشرين ، راية الاستقلال الأميركي اللاتيني الذي سيخبرنا عنه ادوردو چاليانو في المجلد القادم .

دار الآداب تقدم

نقد العقل السياسي

تأليف :
ريجيس دوبريه

ترجمة :
الدكتور عفيف دمشقيه

السياسة جعلت الناس ، في جميع الازمان ، مجانين او متوحشين او خطرين ، وبكلمة واحدة ، فاقدي العقل . هذا ما يقوله الرأي الشائع .

والحق أن لكل انحراف عقليّ سببه ، ولا شيء يتمّ بلا علّة . هذا ما يقوله الحس السليم .

ومن هنا السؤال المحرج : لماذا ينبغي ان تزيغ عقول الناس بمجرّد ان يعيشوا في مجتمع ؟

الجواب هنا يتخذ شكل صعودٍ نحو وضع إمكان الهذيان الجماعي. وهو يبدأ بفحص خطابات الهذيان (وهي اليوم ايديولوجية) وينتهي بفحص البنية المنطقية لجماعة مستقرة . وينتج من ذلك أن « عدم اكتمال » أية مجموعة مغلقة يحدد الاستعمال الممكن لقابلية البشر للتصرف والانتظام جماعياً . وهو ضغط ملزم يطلق عليه التقليد النقدي صفة « نظام » .

يقول ريجيس دوبري « طويلاً ما أخفت السياسة عني السياسي » . انها تخفيه ، ليس بمعنى ما يخفي القطار قطاراً آخر ، بل بمعنى ان أي قطار يخفي السكك التي يجري عليها . هناك مسافات كثيرة ، وشرعات كثيرة ، ولكن هنا سكة حديد واحدة ، لا سكة صليب .

وهذا النقد للعقل السياسي ، إذ يثبت على مادي دقيق الطبيعة الدينية للوجود الجماعي ، يكتشف ، في تطبيق التنظيم ، ثوابت يشكل مجموعها « اللاشعور السياسي » للانسانية ، او بكلمة أفضل : حضورها الأبدي .

ويستطيع المؤلّف ان يكرر قوله : « انا لا أواجه خطر أن اناقض ، بل خطر ألا أفهم » .